**أوَلا/ طبيعة الأدب:**

من الواضح أنَ أوَل مشكلة تواجهها في مادة البحث الأدبي، ما هو الأدب؟ وما هي طبيعة الأدب؟ ورغم أنَ هذه الأسئلة تبدو سهلة، إلاَ أنَه من الصعب أن نجد إجابات واضحة عنها.

إحدى طرق تعريف **الأدب** **«**هو أنَه كل شيء مطبوع**»** وطبقا لهذا التَعريف، فهل يدخل في الأدب الدَراسات الطَبيَة أو تحرَكات الكواكب في أوائل العصور الوسطى أو الشَعوذة في إنجلترا قديما وحديثا، حيث يعتبِرُ **إدوين جريلو** أنَ كلَ ما يتَصل بتاريخ الحضارة يدخل في نطاق الأدب، فدارس الأدب لديه الحقَ بأن يطرق مختلف المجالات كونه يصل إلى نتائج معيَنة بمعنى أنَ قيمة الأدب ارتبطت بما يقدَمه من نتائج تفيد هذا أو ذاك، ولكن التَوحيد بين الأدب وتاريخ الحضارة هو إلغاء للمجال المحدَد والمناهج الخاصة بالدَراسة الأدبية.

ومن التَعاريف الأخرى للأدب قصره على "أمَهات الكتب" أي على الكتب التي تتميَز بالشَكل أو التـَعبير الأدبي مهما كان موضوعها، هناك يكون الأساس القيمة الجمالية وحدها وهذا الحكم قد يكون إصدار لحكم تقديري حول ذلك الأدب ليقرأه المبتدؤون من الطَلبة، فينبغي عليهم أن يقرؤوا الرَوائع أو الجيَد من الكتب، ومع ذلك فإنَه يحقَ لنا التَساؤل -**يقول رونيه ويليك-** عن مدى صلاحية هذا المبدأ للتَطبيق بالنَسبة للعلوم لأنَ الحديث أو الكتابة فيها يكون بطريقة تقريريَة لا فنَية، هذا بالإضافة إلى صعوبة تفهَم الظَروف التي تشكَل الإطار الاجتماعي والفكري الذي يحيط بالإنتاج الأدبي، وهذا سيؤدّي إلى تفضيل بعض الكتَاب والعلماء على آخرين، وذلك لأسلوبهم في العرض والكتابة، فيتميَز هذا الأدب عن نظيره لوظيفته الجمالية...لكن امتداد الوظيفة الجمالية إلى الأدب فهم قاصر لأنَنا بهذا الموقف نستبعد الشَعر التَعليمي مثلا لأنَه يأتي بأسلوب مباشر غير جمالي، فلهذا يقول النَقاد هو فهم ضيَق.

**ثاني/ وظيفة الأدب:**

من منطق الكلام أن تكون طبيعة الأدب ووظيفته مرتبطتين ففائدة الشَعر نابع من طبيعته فكيان الشّيء (طبيعته) قائم على ما يؤدَيه (الوظيفة).

وهناك سؤال آخر يطرح نفسه وهو: هل للأدب وظيفة واحدة؟ أو وظائف متعدَدة؟

ممّا لا شكَ فيه أنَ الباحثين والنَقاد والمفكَرين عبر مختلف العصور الأدبيَة لم يتَفقوا على وظيفة الأدب اتَفاقا تاما، وإنَما اختلفت من عصر لآخر ومن مجتمع لآخر بحسب الأفكار والثَقافات، وحتَى في نفس الزَمن ونفس المجتمع، ومن تلك الاختلافات نذكر الخلاف الذي وقع بين "أفلاطون" و"أرسطو" حول وظيفة الأدب، حيث اعتبر أفلاطون الشَعر مضللا للحقيقة، بينما اعتبر أرسطو أنَ الدَراما هي تطهير للعواطف.

وقد حدّد الشاعر و**المنظَر الرَوماني "هوراس"** وظيفة الأدب فقال أنَه يهدف إلى المتعة والإفادة فالشَعر **"عذب ومفيد"** وبغياب أحد الصّنفين تختل وظيفة الأدب.

ويمكن تصنيف هذه الوظائف التي يحققها الأدب كالآتي:

1**/ الوظيفة المعرفيَة:**

الأدب شكَل من أشكال المعرفة يوسَع معارف البشر، وقد أكد أرسطو أنَ الشعر أكثر اقترابا من الحقيقة والمعرفة في حين رأى أفلاطون أن الشعر يبتعد عن الحقيقة.. وبالحديث عن علاقة الأدب بالحقيقة والمعرفة قد يبدو للبعض أنّها غير قائمة، فلهاذا يمكن الحديث عن **الصدق الفني** وليس الصدق مرادف الحقيقة، فقد أجمع البلاغيون العرب على أنَ الخبر إمَا صادق أو كاذب فالخبر الصّادق ما طابق الواقع والكاذب ما لم يطابقه، وتمثّل هنا عدم المطابقة عنصر **الإبداع** وقد قال **قدَامة ابن جعفر** «وقد بلغني عن بعضهم أنَه قال: أحسن الشَعر أكذبه» فالصَدق هنا يعني صدق التَجربة، يعني أن يدهش الشّعر القارئ عن طريق التَعبير الرَقيق الذي يعبَر عن أفكاره، وفي الأخير يتركه راضيا. وقد ميَز **رونيه ويليك** بين نموذجين من الحقيقة:

أ- الحقيقة التي يستخدمها المفكَرون والفلاسفة.

ب- الحقيقة الأدبيَة والفنَية (في الأسلوب).

2/ **الوظيفة السيكولوجية**:

بإمكان الرَاوي أو الشَاعر أن يعلِمنا بالطَبيعة البشرية أكثر من عالم النَفس، ذلك أنَ االرواية تكشف عن الحياة الباطنية للشَخصيات، ففي قراءتنا لقصائد المتنبَي مثلا فإنها تكشف لنا عن سيكولوجية العظمة، وقصائد عنترة تكشف عن سيكولوجية الحبَ الممزوج بالبطولة، وقصة أوديب تكشف عن عقدة الإثم...إلخ.

**3/ الوظيفة الإبداعية**:

يمثل الفن (الأدب) أحد عوامل النشاط الإبداعي للبشر وحافزا للملكات الإبداعية والمخيَلة المبدعة في كلَ الميادين: المسرح، الشَعر والرَواية...

**4/ الوظيفة الجمالية:**

الفنَ ينمَي المشاعر الجمالية والأذواق، فحاجة الإنسان إلى الجمال كحاجته إلى الغذاء. وضع

اللَوحات الزَيتيَة مثلا والصَور في جدران البيوت، دليل على حاجة الإنسان لخلق أجواء الرَاحة والجمال للمتعة والتَرفيه. وكذلك الأدب. فهو مصدر الجمال والاستمتاع، وهو جدلية الذَات والموضوع أي النَص والقارئ وتختلف هذه المتعة الجمالية من شخص لآخر، وباختلاف الأزمنة والأمكنة، فقد يكون للنص ردود أفعال جمالية في زمن معين، ثم تتغير في وقت لاحق.